مرمر القاسم الأنصاري

بطاقة

مرمر عمر القاسم الأنصاري من مواليد ١٢/٨/ ١٩٧٧ من أم الزينات، القرية الجبلية المهجّرة الواقعة على سفوح جبال الكرمل. عملت في عدة مجالات منها الطب التكميلي، و تعمل حالياً مديرة مركز صحي لرعاية و تأهيل المتوحدين في قرى حيفا.

بدأت الكتابة منذ عام ٢٠٠٧، ونشرت العديد من النصوص عبر الشبكة العنكبوتية، وهي عضو في منتدى عمّون للأدب والنقد عمان الأردن.

صدر لها كتاب بعنوان "أوراق مهرّبة من الأراضي المحتلة". ورواية بعنوان "مجانين في زمن عاقل".

*** هل يمكن إعطاؤنا لمحة عن البدايات.. الأجواء المحيطة.. بمن تأثرت من الكتاب..ومن هم مصدر الإلهام حاليا..؟**

بداياتي كانت عبر الشبكة العنكبوتية، كنت أفتقر للخبرة وللغة في آن، وكما هو معروف للجميع أن الداخل الفلسطيني يعاني القمع الفكري و اللغوي، وهذا لأن الكيان جعل اللغة العربية اللغة الثانية، وهذا فقط متبع في المدارس، بينما في الحياة العملية نادراً جداً ما يسمح بالحديث باللغة العربية أيضاً على الرغم من وجود قانون يسمح بذلك، الا أن العنصرية تسيطر بشكل أكبر على جميع الصُعد. تنقلت ككل أديبة باحثه عن المميز

والتميز ما بين المواقع الأدبية والصحف الالكترونية، تأثرت بعدد كبير من الأدباء من بينهم "محمد الماغوط، والمفكر والفيلسوف الجزائري مالك بن نبي والقاص الأديب العراقي عدي حاتم، إضافة إلى الشاعر الكبير محفوظ فرج والذي تعرضت إلى شعره من خلال نص في كتاب "أوراق مهرّبة من الأراضي المحتلة"، والقاص صباح نيسان، وأيضا من العراق ومن الجزائر أحلام مستغانمي، والأديب الشاعر الفلسطيني إبراهيم نصر الله، والأديب المبدع غسان كنفاني رحمه الله،ولا أنسى بداية تعلمي للغة العربية ودروسا كنت أتلقاها من الزميل الأخ خلوفي عدة من الجلفة "الجزائر"،والذي يعود له الفضل الأكبر في اتقاني للغة العربية، وهنالك بالطبع أسماء كثيرة.

الأديب غسان كنفاني كان أكثر من تأثرت بهم على الساحة الفلسطينية، وتأثري به ليس كأديب فحسب إنما كشخصية سياسية ثورية وكانسان، إضافة إلى إبراهيم نصر الله، إلى أن شعرت ومع تشجيع من الزميلات والزملاء من أدباء وقرّاء وكتّاب أنه صار بإمكاني العمل على إصدار ورقي.

*** عنوان كتابك الأول ("أوراق مهربة من الأراضي المحتلة").. مثير ولافت للانتباه، ولكن بعد قراءة ستين نصّا وتقديمين نعود إلى العنوان لنتساءل عن سبب اختيارك له..؟**

في البداية دعني أشير إلى أن من اختار العنوان لهذه الأوراق هو الباحث الجزائري فارس بوحجيلة مشكوراً.

تعرض الكاتب العراقي حسام الالوسي في كتابه "المدخل إلى الفلسفة "إلى مفهوم التهريب، قال: " نحن نتساءل أحياناً دون أن ننبس ببنت شفة أحقاً أننا موجودون؟. أي أننا نطلب إثباتاً لوجودنا.

إذا فإن التهريب ليس بالضرورة يعني المفهوم البسيط والمتعارف عليه، قد نتهرّبُ من أفكار أو يتهرّب منها المجتمع، ونهرّب أفكاراً من دواخل عقولنا، كأن نمنحها لشخص آخر للتطبيق إذا ما وجدنا صعوبة في الأمر. تكون بمثابة محاولة لإثبات الوجود.

لست أؤمن بأن المباشرة هي الوسيلة الأفضل للوصول إلى القارئ، ففي بداياتي كنت أبحث فقط عما يستفز عامل الفكر كي أفكر، فالوجبة السريعة الهضم لها مفعول مؤقت على العقل البشري، وهذه نقطة لم يعمل عليها غالبية الأدباء العرب، فيكفي أن تنتهي من النصوص لتعود إلى العنوان للبحث عما كان خلفهُ، وهذا قد يحفز على إعادة القراءة مرة أخرى. بالطبع حسب رأيي المتواضع وليس بالضرورة رأي صائب.

*** وكأن نصوصك تتحدث عن تجربة ذاتية.. وربما لهذا جاءت أقرب إلى البوح والغوص في الذكريات..؟**

ليس من الضرورة أن تكون تجارب ذاتية، من طبيعة عملي أن على أعضاء الطاقم العامل الخروج من آناتهم وتبني أفكار وضوابط اجتماعية متفق عليها، توافق جميع طبقات المجتمعات، مما يعني أنّ الفرد منا يتخلص من أفكاره ومعتقداته الذاتية ويعمل وفق ما سبق وذكرت، مما أكسبني مهارة الخروج وأتاح لي رؤية الأمور بعين أخرى، قد تشبهني وقد لا تشبهني، في النهاية أكتب ما أجده مفيداً وما أحسبه الصواب.

الذكرى مرهقة وكلّنا يحتاج إلى إسقاطها، و بالتالي التخلص من عبء الاجتهاد في التَذكّر، فقد نكتب لنشاهد ذكرياتنا على الورق، وللراحة من عناء البحث عنها في رؤوسنا، العمل على إسقاط رؤى وأفكار قد تكون فيها منفعة للقارئ، أفضل من إضاعة الوقت الثمين فيما لا يجدي.

*** قارن بعضهم بين كتابك وبين كتاب (نسيان.كم) للكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي الداعي إلى الحياة بعيدا عن التذلل للذكر..؟**

في الحقيقة كنتُ قد اقتنيتُ هذا الإصدار للأديبة أحلام مستغانمي، إلا أنني لم أكمله بعد لتراكم الكتب فوق مكتبي، و أن يشبّه أسلوبي بأسلوب الأستاذة أحلام فهذا أمر يسعدني، بل و أراه إطراء في هيئة رداء أكبر من مقاسي.

مفهوم التذلل جعل للواحد الأحد، ولم يجعل من أجل تذلل العبد للعبد. فالفرق كبير ما بين الطاعة المفروضة الواجبة على المرأة من خلال النص القرآني والحديث النبوي الشريف بالحق،وما بين التذلل، شتان بين الطاعة والتذلل.

ربما وجهتُ دعوة للتمرد على هذه الحالة الاجتماعية المقيتة، مع تبيان الفرق بشكل أو بآخر،وهذا ما يجب علينا فعله من أجل السعي إلى تحرير المرأة أولاً من المفاهيم المقيتة لمفهوم"تحرير المرأة المستورد "وقد أصبحت أسيرة تلكم المفاهيم الأعجمية، والتي لا أجد لها مكاناً في مجتمعاتنا العربية و الإسلامية على وجه الخصوص، وثانيا لإفهام المرأة العربية كيفية المطالبة بحقوقها أولاً كإنسان وثانياً كزوجة كانت أم أخت أو أي صفة أخرى، مع المحافظة على مكانتها في المجتمع كأنثى، إن تذلل المرأة في مجتمعاتنا جاء تحت ضغوطات وظروف مفروضة، لم تقم على الإقناع أو الإيمان بالرأي،وتناقض بشكل كبير ما جاء في النص القرآني و الحديث الشريف.

*** الملفت أن معظم كتاب القصة القصيرة في فلسطين هن من النساء، ويرى البعض أنَّ سبب هذا الأمر هو قدرة المرأة على**

التأمل في ظل الاحتلال أكثر من الرجل، او قد يكون الرجل مشغولا بالقضايا السياسية والحياتية أكثر من المرأة..؟

إذا ما نظرنا إلى مراجع التاريخ و تراثنا العربي، وجدنا أن حبكة القصة والأسلوب المحكي ظاهرٌ في الحكاية الشعبية والتي ترويها الجدات والأمهات، نسميها "خراريف ستي أو جدتي" بالطبع بعضها جاء من الخرافة كما يقال، و البعض الآخر مستوحاً من الواقع المعاش، وكما ذكرت في معرض سؤالك حول انشغال الرجال عن العديد من تفاصيل حياة الأبناء، فإن الأمهات والجدات حسب اعتقادي هن من اخترعن هذا الأسلوب والذي فيه الهاء للطفل عن غياب الأب سواء في العمل أو السجون.

كنا نحب مجيء الليل عندما كنّا صغارا، لنخوض غمار المغامرات، اليوم بات لليل مفهوم آخر غير الذي كنّا نعتقد، أشبعتني أمي و جدتي من الحكايات الكثير، فقد صنعن من الحكاية وباحتراف شديد أبطال على هيئة آباء وعشاق وإن كانوا من الخيال، ومن هنّ تعلمنا معنى البطولة والشجاعة، مما يستفاد منه في صنعة هذا الجنس الأدبي وغيره من الأجناس.

* **القارئ لنصوصك يجد صعوبة في تصنيفها أدبيا. والسؤال محاولتك هذه في عدم إخضاع نصك للتجنيس الأدبي.. هل هي حالة تمرد على النص.. أم على الذات.. أم على الحالة والتقاليد الإبداعية العربية..؟**

حقيقة ليس خروجاً عن أية تقاليد و تصنيفاتها أدبيّاً، برأيي إذا ما نجحت التجربة فإن التصنيف يكون من نصيب الناقد، إضافة إلى أنني لا أحب تقييد قلمي وحصره في قافية أو شكل من الأشكال الأدبية، وعدم

إخضاع النص لجنس أدبي ربما يعود ذلك إلى تجربتي القصيرة جداً في المجال،وهذا بالطبع لا يلغي جمالية النصوص ذات التقنية الفنية العالية،كما لاحظنا وجود نوع جديد على صعيد الساحة الأدبية والذي أطلقت عليه تسمية"الخاطرة الشعرية"أو "النثرية الشعرية"، وهي من أجمل النصوص التي قرأت للشاعرة والأديبة الإعلامية الفلسطينية ربيحة الرّفاعي مثال نص نشر لها تحت عنوان" أتَساقَطُ دُرًّا " وهنالك العديد من الأدباء الذين كتبوا بهذا الأسلوب.

أؤيد الجديد شريطة أن يحترم عقل القارئ، و يحترم ضوابط الأدب،وعدم التعرض للذات الإلهية.

*** في معرض حديثك عن القضية الفلسطينية، هناك نقد لاذع للموقف العربي المتخاذل من هذه القضية..ولكن دون الحديث بشكل واضح عن المحتل في الأرض المحتلة كما جاء في العنوان..؟**

الضرب الخارجي تفهم أبعاده بسرعة أكبر من الضرب الداخلي الداخلي،على صعيد الساحة الثقافية لا نجد فعاليات مشتركة ما بين فلسطين وبقية الدول العربية، وإن وجدت، توجد تحت مفهوم نصرة القدس أو الأقصى، كأنما يريدون تحويل المفهوم الحقيقي لتحرير الأقصى من المفهوم الديني نظراً لمكانة الأقصى في نفوس المسلمين إلى مفهوم آخر مشوه وغير حقيقي، إضافة إلى أشعارك بأن ما يقومون به هو بمثابة"صدقة".

صعب جداً أن نجد فعالية مشتركة ما بين فلسطين الداخل(٤٨) وفلسطين الضفة، وهنا المشكلة لا تكمن في الأدباء أنفسهم بل في القيادات المسؤولة عن التحضير وإنشاء تلك الفعاليات، سمعت عن

العديد من الأدباء الفلسطينيين في فلسطين إلا أنني لم ألتقِ بأيّ منهم إلا من رحم ربي وسعى بنفسه للقاء ثقافي، وأحسب أن العديد منهم سمعوا عن أدباء الداخل، ولم يحدث اللقاء لالتقاء الأفكار ومناقشتها حول الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية، فإن للأدب تأثيره الأكبر في تنشيط الفعاليات والعمل على تقارب الفكر بين أبناء الوطن الواحد.

نحن في الداخل نفكر بطريقة ما، وهم يفكرون بطرق أخرى، وكل يرى فكره الأفضل ورأيه الصواب، وهذا فقط سَبّبهُ الانسلاخ الفكري و الاجتماعي والثقافي و السياسي بين الضفتين، إضافة إلى أننا نجهل الكثير عنهم، وهم عنا، كذلك الأمر، كما أننا نادرا جداً ما نتحدث عن أدباء فلسطينيين في المنفى، لا أدري كأنها حالة تجاهل أو إنكار، أو ربما يرفض عقل الفرد فكرة التفكير بغيره و بمعاناته الصعبة على التصديق أحيانا كثيرة.

بينما دوافع المحتل مفهومة مسبقا، ولستُ أعتقد أن التعرض لها بحاجة للمزيد من الإيضاح.

أعدك و القارئ الكريم على أن أوضح بشكل أكبر في عملي القادم بعون الله حول الانسلاخ المعاش بين كلا الضفتين و الضفة الثالثة "المنفى".

* **ولكنك تشيرين في المجموعة إلى قضية الانسلاخ الثقافي، والانبهار بالعولمة والضياع الفكري في قولك "ليتهم يدركون كما أيقنتَ أن استمرارية الفكر لا تكون إلا حين نستمد الفكر من الحضارة، لأن الماضي فعل تعاكسه ردة فعل مستقبلية".. هل يمكن إيضاح هذه الرؤيا..؟**

من أجل أن نحدد ملامح وعلائم المرحلة أو تلك، لابد من الاعتماد في البحث على إجراء تجريد كل ما هو خاص بتطور البلد، ومن ثم

تدارس ما هو مشترك في التاريخ. فهكذا تصبح فكرة المرحلة أكثر تجسداً من فكرة التشكيلة الاجتماعية، ليتم تقرير ما هو نمطي بين مختلف البلدان في المراحل التطويرية، بناءً على حقائق الحوادث التاريخية لمرحلة ما،مما يمكننا من تدارس تمخض التغيرات التي وقعت، وتقع في العلاقات الاجتماعية الاقتصادية والاجتماعية السياسية.

قال لينين عن الثورة الفرنسية: "إنها قد خدمت كثيراً طبقتها البرجوازية بحيث أن القرن التاسع عشر الذي أعطى للبشرية الثقافة و الحضارة، قد اتسم كله بعلائم الثورة الفرنسية." بالطبع لستُ مع نظريته هذه بالكامل حول ما منحته الثورة الفرنسية للبشرية، لكن لو قرأنا المشهد قراءة كاملة شمولية، نظرنا إلى التطورات التي طرأت على صعيد الساحات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في أعقاب الثورات العربية سوف نجد تقريرا يقول أن تلك الثورات أصابت اقتصاد دولة ما بالشلل، وأدت إلى ارتفاع أسعار عملة دون الأخرى، ولسوف نجد تحولات كبيرة في الإصلاحات على جميع الأصعدة سواء الاقتصادية أو الاجتماعية والسياسية معاً، مما سوف يشكل تحولا ملحوظا في المراحل القادمة،وهذا ما يساعدنا على بناء معالم المرحلة القادمة دون أدنى شك،وهذا أمر من شانه مساعدة أجيال قادمة على تخطي أخطاء هذا الجيل.

وهذا ما يتبعه الأديب والمربي الشاعر العراقي محفوظ فرج في غالبية نصوصه الأديبة، والتي تعرضت لها من خلال نص في أوراقي المهرّبة صفحة "٤٩".

*** رأى البعض أنَّ هناك طغيان واضح للفكر والفلسفة، وبخاصة الفلسفة الوجودية، في نصوصك بشكل عام.. فهي تخاطب النفس، وتخاطب العقل، فتتحدث عن الفكر، والفهم والإدراك،**

كما تتحدث عن الإحساس، وتدخل في متاهات مفهومنا للضمير وعلاقة ذلك بالنفس البشرية..؟

كانوا يقرؤون الأدب قراءة عابرة حسب اعتقادي، دون النظر إلى البعد للكلمة ومدى تأثر العقل اللاواعي بتلك المفردة أو غيرها، نسبة كبيرة منا يتغنون بمقولة الشاعر أبو القاسم الشابي: "إذا الشعب يوما أراد الحياة - فلابد أن يستجيب القدر". بينما أجمع غالبية العلماء على أن بيت الشعر هذا مسألة فيها نظر،لأن الله هو من قدر و يقدر و يشاء ويفعل،وليست الإرادة البشرية هي التي تخضع الله جلّ في علاه للإرادة.

صحيح أن بيت الشعر داعب الإحساس لكنه أضر بالعقول بشكل كبير.

في المنهاج التعليمي أشعار لإيليا أبو ماضي علمونا شعره ولم يتطرق أحد إلى إلحاد أبو ماضي في النص، و أعجب كيف يعجب قارئ بشعر ملؤه الإلحاد، وكيف تسمح مؤسساتنا بأن يكون في المنهاج التعليمي نص من تلكم النصوص وإن كانت بنظر البعض جميلة وذات فنية عالية.

القطعة الفنيّة الأدبية لابد أن تدغدغ شغاف العقل والقلب مع احترام شديد للقارئ وعقيدته.

كما لابد من إخضاع النص لقراءة مدركة واعية لمَ يأتِ بعد القراءة ومدى تأثر الفرد في المجتمع بتلكم النصوص وخاصة النص المدرج تحت أدب المقاومة والأدب الإسلامي لاستجلاء الغاية الحقيقة من وراء ما جاء فيهما، وتلك مهمة القائمين على رئاسة المؤسسات التعليمية والتربوية قبل طرحها في وجه القارئ.

* **أيضا، تعكس نصوصك بشكل ملفت حالتك النفسية، ومعاناتك الخاصة أثناء كتابتك لكل نص منها، وقد تعودنا ان نرى هذا في اللوحة التشكيلية مثلا وليس في النصوص الإبداعية..؟**

أرى اللوحة الفنيّة التشكيلية كما رؤيتي للنص الأدبي، بفارق بسيط، هو الأدوات المستخدمة في التعبير،فالفنان التشكيلي يعبر عن الحالة بألوانه مما لا أستطيع فعله أنا،والأديب يعبر بمفرداته، مما قد لا يستطيع فعله الرّسام.

صادفت العديد من الفنانين التشكيليين ممن طرحوا أفكارهم في لوحة ما، عولجت من خلالها حالة اجتماعية أو سياسية مرفقة بقصيدة أو قطعة فنيّة أدبية نثرية، أمثال الفنان التشكيلي الفلسطيني نياز المشني و الشاعر الفلسطيني فريد مسالمة، و في حالات كثر تجد الفنان قد طرح لوحته طالبا منا وضع قراءة لها،و بالتالي فإن كل منّا مكمل للآخر.

كما سبق وقلت ليس من الضرورة كل ما نكتبه يعني حالاتنا الخاصة، أظنها حرفة الأديب أن يجعل القارئ يظن أن ما جاء في النص هو حالة الأديب نفسه، فمثله مثل الممثل، عندما يتقن أداء الأدوار أو لا يتقنها،وهذا غالبا ما نجده لدى الأدباء الذين يترفعون عن آناتهم ويتفانون عن ذواتهم مما يمنحهم حرية التعبير من خلال النصوص الأدبية، عما لا يستطيع الشخص البسيط التعبير عنه، إضافة إلى أن ذلك يؤكد للقارئ إنسانية الكاتب العالية في قدرته على عيش معاناتهم الشخصية.

*** أيضا استوقفني تمكنك من اللغة العربية واستفادتك من إمكانيات اللغة في الجناس اللغوي والطباق والمقابلة..؟**

هل كان الأصمعي أو امرؤ القيس وغيرهم يبسطون لغتهم، وهل كان في زمانهم ما يسمى بالقرّاء وأنصاف القرّاء؟وهل على الطبيب أن يلغي من قاموسه المصطلحات الطبية والعمل على ارضاء "المرضى."

إن تحصيل المعرفة وإضافة المفيد من الأفكار والمشاهد إلى خزانة

المتلقّي، هو بمثابة العمل على الاستفادة من أفكار النص ولغته وأسلوبه في التغيير والتطوير وتصحيح المسار لدى القارئ وبالتالي بقية المجتمع، وهو العمل على توليد أفكار جديدة فاعلة ومُجدية، تثري الساحة الأدبية والثقافية التي تشكّل مرآة لتحضّر المجتمع ورقيّ القارئ العربي إلى جانب رقيّ الأديب.

بإمكان الإنسان العادي أن يعبر عن همومه الخاصة بلغته البسيطة الخاصة، بينما الأديب يصوغ أفكاره بلغة أدبية عالية، ومصطلحات فنيّة أكثر تجريداً.

يصدف أن يتعثّر أحد القرّاء بواحدة من هذه المفردات، قد تسحره ويشرع في القراءة علّه يعثر على ضالته، هذا ما ينبغي على القارئ تعلمه، مثلما يتعلم أي علم آخر، وحينها لسوف يتضاءل العائق ما بين الأديب والقارئ مع تعلّم المصطلحات وفهمها.

كما أن من وظائف الأديب اتخاذ الخطوات اللّازمة في النص الأدبي، وهي أن تكون تكلم الخطوات مثل القرارات عاقلة منطقية تحترم أولاً عقلية القارئ وثانياً مشاعره وثالثا المفاهيم الدينية والعقائدية والاجتماعية في آن.

*** إغراقك النصوص بالرمزية، حتى أنني احتجت لقراءة النص أكثر من مرة لفهمه، يدفعني لسؤالك عن القارئ الذي تضعينه في ذهنك أثناء الكتابة..؟**

وضوح الأفكار والأسلوب السهل سواء كان محكم البناء رشيقاً في لغته سلساً في تناوله أم العكس غالباً ما يكون لصيقاً بالقضايا التي تمسّ شغاف قلب القارئ ولا تمسّ شغاف عقله.

فيعود من حيث بدأ شاحذاً كلّ حواسه مستحضراً ملكاته العقلية وكلّها من أجل الفهم،وربما يلقي بالنص جانباً و يغرق في التفكير وهذا ما أسعى إليه، تحفيز القارئ العربي على القراءة ثم التَفكّر. لتكون له رؤاه الخاصة و قراراته المستقلة، كما أنني لا أعتقد أن الأسلوب السهل السلس المباشر هو الأجدر بالإتباع كي يصل النص إلى القرّاء،ويرضى عنه النقاد،كما لا يجب على الكاتب أن ينزل إلى القارئ بل على القارئ أن يصعد إليه مصطحباً معه معجماً غنيّاً بشرحٍ مبسّط للمصطلحات الفنيّة الأدبية، إلا إذا لزم الأمر أحياناً نزول الكاتبً إلى القارئ ما بين السطور دون التنازل عن جودة اللغة.

إن الالتزام بتقديم نصوص ذات جودة فنيّة أدبية عالية هو بمثابة التزام الإنسان بالأمانة والصدق ومثله تماما مثل الدفاع عن الوطن.

* **في روايتك الجديدة " مجانين في زمن عاقل" كان هناك " نبش " في إشكالية العلاقة بين الفلسطينيين داخل الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨ مع مؤسسات الكيان الصهيوني في الداخل من جهة، ومع الفلسطينيين في الضفة الغربية والمحيط العربي من جهة أخرى.. هل يمكن إيضاح هذه الإشكالية، والتي تكاد تغيب عن ذهن العالم الخارجي..؟**

وهذا يسقط ضمن الأسباب الّتي جعلت أفكار العرب مُذلّة وطبّعوا على التّسليم أو التّعصب الذي يفرض على صاحبه أن يخلق الوطنين على مقاسه الفكري والأخلاقي.

ألم يكن من الممكن أن يؤمنوا كعرب ومسلمين بدعوة جديدة لفكّ الحصار عن كامل فلسطين وينصروها نصرًا قويًا تهتزّ له الدّنيا، بدلًا من فتوى منع زيارة فلسطين بذريعة التّطبيع.؟ ومع ذلك نجدهم يأتون خفية

لتصوير فيلم أو زيارة سرّية لبعض القادة السياسيين سواء الفلسطينيين و"الإسرائيليين" . ! والآن نشرت المخرجة الفلسطينية تغريد العزة ما حصل لها مع موظف السفارة المغربية في رام الله حيث أخبرها أن الفيزا المغربية لا تمنح للفلسطيني، بينما تمنح للصهيوني، أليست هذه مفارقة تحتم علينا إعادة التفكير في الأفكار المعروضة علينا كسلعة رخيصة سريعة العطب، وعن أي فلسطين يدافعون . !

* **تقولين في الرواية.." في فلسطين للحبِّ شكل آخر، ومذاق آخر، وثوب آخر، وقصصٌ تقرأُ من الشِّمال لليمين".وتضيفين.. " ما بين حيفا وجنين، الحب يعطي للسُّكون شكل الحركة، وينضح بالقهر، حيناً، وبالصَّبر حيناً، حتَّى يصبح صورة للجنون..هل أصبح الحب بين فتاة من حيفا وشاب من جنين اقرب لـ "الحب الحرام " نتيجة تلك العلاقات الشائكة..؟**

لم يعد يُرعبنا الجدار حينما نُقلنا من الإيمان بقومية الهوية العربية إلى المفهوم المغالط لبطاقة الهوية التي صيرتنا أرقاما وألغت عناصر الهوية السديدة. غيّبوا الإنسان الذي نحمل. غاب انتماؤنا التاريخي والجغرافي.

النَور،لا تعيقه الجدر والأبواب المُغلّقة، قادرٌ هو على كسرِ جبروت الصّخر وظُلمة الزنازين، كذلك الحب،عندما نقع في معضلة زواج الديانات والثقافات المتباينة فإننا نعرف الأسباب والحلول لها، بينما حين يكون الحب بين الفلسطيني و الفلسطيني ويكون محرّما فهذه مصيبة كبرى.

إننا نقف بالساعات ننتظر عند أول حاجز فقط كي نجتاز جدار الذّل، مغامرة نؤديها مثل مجازفة محفوفة برهافة توتر خفيف الخوف، فيُضاعف الانتظار الشوق، واللهفة، وتهبط كافة الأحاسيس إلى أسفل الشعور

كلّما تحسّسنا الماكثين في صدورنا حين تخطر على البال فكرة أن يقوم أحد الجنود "الإسرائيلي ين" حسب مزاجيّته الرّديئة اليوم كما في الأيام الفائتة ويمنعنا من العبور. ليضاعف مرة أخرى وتيرة الخوف والقلق الاستراتيجي عبر إدراك وجود الحدّ الفاصل بين الحياة والموت، بين اللقاء واللالقاء، بين الجوع والشبع، بين الاختناق وبين امتلاء الرئتين، ونحن نخبّئُ في أحذيتنا الشوق حتّى لا يُعثر عليها فنتهم بالإرهاب العاطفي، نعم هناك فقط وحين يغيب العدل في الأرض، يعطي الحب للسكون شكل الحركة، ليمنحنا سعادة احتفالية محفوفة بتحديات لا يُخضِعُها بشر.

❊ جاء استخدامك للأرقام بشكلها المجرد وتصنيف الناس على ضوئها ملفت جدا..لماذا..؟

في اللحظة الّتي هبط فيها آدم عليه السلام إلى كوكب الشغب والتّعب بدأ العد، ولم يبدأ من لحظة خلقه وتكوينه، حين قال له تعالى في سورة الأعراف [٢٤-٢٥] قال: ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٢٤ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ﴾. فصار آدم وأهله ونحن أحفاد أحفاده القتلة سجناء لنا زنزانة ضيّقة داخل السجن الأكبر، وإن كان لنا فيه مستقرّ و"متاع" إلى حين يتم الإفراج عن الأرقام المهمّشة حين يجفلُ العالم بالصيحة الكبرى، ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ٤١ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ﴾ [سورة ق: ٤١-٤٢].

حينها سيروي الصمت للعالم حكايات عن أرواح أمست عارية إلا من إيمان مُمَزّق وبضع وستّين خطيئة، وكيف استقام الشّحوب في تفاصيلنا الصغيرة داخل أصيص نمت فيه المحبة رغم أنف الجفاف والحصار والسجن والمؤبد والتصاريح مؤجلة الإصدار.

*** تعرضت بكثير من التفاصيل لانعكاس أوسلو على الحياة الثقافية والاجتماعية قبل الحياة السياسية للفلسطينيين.. كيف ترين هذه الانعكاسات الآن..؟**

إن الموافقين على معاهدة أُوسلو هم زمرة خائفون من حرّيات الإنسان نفسه، ولهذا لابد أن يكونوا أعداء غير أخلاقيين، إنهم في الغالب عاجزون ومرضى الشهرة والعظمة، تبلّدوا وانحرفوا بمسيرة النضال وتاريخ الشعب الفلسطيني إلى مسميات وصفات ألصقت بالشعب الفلسطيني في كلا الرقمين ٦٧ و٤٨، والأبشع من ذلك عملوا على تغيب حق العودة، حتّى أنني اكتشفت في الآونة الأخيرة أن المُهجّر من الرقم ٦٧ يسمى نازحًا والمُهجّر من الرّقم ٤٨ يسمى لاجئًا، كلّها أرقام وتسميات تسقط في أقبح الدمامات.

*** يحسب لك، بحسب احد النقاد، تلك الشفافية التي تجنح للشعرية في جملتك السردية التي تتسرب لوجدان القارئ دافئة ماتعة برغم عمق الوجع ومأساوية الصورة..؟**

ذاك الناقد أحسن الظنّ بي وبحرفي لأنّ الذائقة العربية اعتادت في غالبها الأعم على أنّ سردية الوجع والمأساة ليس لها الحضور الجميل في أعماقنا وإنما الحضور عالي الحسّ والعميق دون متعة الجمال ونشوته

ربما كان مجهودي منصبّا في بعض الجمل على استنهاض قيمة جمالية ماتعة رغم عمق المأساة والوجع، لأنّها مأساة معاشة يوميًا ويجب أن نؤّرخ حضورها بأقل فجائعية ممكنة تلك هي الّتي لاقى فيها ذاك الناقد قيمة جمالية يمكن أن نتعايش معها ويتعايش معها القارئ. . . ليظلّ باب الأمل موارباً على الإنسان الذي نسعى لنكونَهُ من خلال أفكارنا وأحاسيسنا الممكنة.

*** تقولين أن مقولة "عرب ٤٨" ليست إلا "كذبة كبرى كنص صهيوني وكهوية مختلقة لتأكيد عدمية وجودنا كفلسطينيين أصلاء على أرضنا وأصحاب حق..؟**

مرّ على الاحتلال الصهيوني للأراضي الفلسطينية ست وستون عامًا وحتّى الآن لم يتم الإعلان عن سياسة واضحة لهذا الكيان ولم يعترف بنظام متبع، ديمقراطيا كان أو دينيا، أي أن هذا الكيان هو في الحقيقة نظام "دولة دينية "تعتقد أن أرض فلسطين هي أرض الميعاد، ولعل التغطية الضبابية لهذا الكياني الصهيوديني في عدم تمكّنهم حتّى الآن إثباتَ ادعاءاتهم الدينية حول ما وعدوا به حسب أقوال رجالات الدين، وفي نفس الوقت نجدهم يدّعون أن نظامهم نظامًا ديمقراطيا ولم يعلنوا عنه،وهذا طبعًا أسبابه معروفة لا تخفى على أحد،ومن بينها كي لا يخرج عليهم سياسي فلسطيني ويرشح نفسه لانتخابات رئاسة الوزراء.

بطاقات الهوية الزرقاء الممنوحة للفلسطينيين الباقين في أرضهم المحتلة عام ٤٨ هي بمثابة إدانة وليست إدانة، بحيث يتعامل مع حملة الهوية الزرقاء"الإسرائيلية"من قبل معظم الدول العربية على أنهم أعداء للأمة كافة، بمفارقة شنعاء يتم التعامل مع الصهيوني حامل هويته على أنه سائح ومواطن "دولة مجاورة"يتوجب احترامه، والفلسطيني الباقي على أرضه مقموع بوصفه مدافعًا مجاهدًا كلّ أساليب الاحتلال والتيه، تلصق به تهمة الخيانة ويقع عليه عقاب الحَجْر كما لو كان وباء مزعجًا، لندرك متأخرين ربما، أن تلك الإدانة الزرقاء مُنحت لنا لإعطاء العالم العربي أدلة وذرائعَ لإقصائنا عن العالم الخارجي للسجن.

كما أن من مات منا في رقم من تلك الأرقام وكان يحمل بطاقة هوية تعود إلى الرقم الآخر فممنوع علينا دفنه إلا في رقم زنزانته"بطاقة "الرّقم المنسوب إليه.

*** سؤال أخير.. على الصعيد الإبداعي، هل تعتبرين وجودك في أراضي الـ٤٨ ميزة.. أم أنه حرمك من ميزة ما..؟**

هي ميزة حرمتني من ميزات عديدة.

العيش في ظل الاحتلال يعني أنك سوف تعاني نقصاً حاداً في كل الوسائل التعليمية والعلمية، مما اضطرني إلى اللجوء إلى عالم النت لتعلم اللغة العربية بشكل أوسع وأكبر و تعلمها من أكثر من دولة عربية مما أتاح لي التعرف على لغات مجتمعات أخرى لا تعاني القمع كما يعانيه الفلسطيني، وربما هذا ما يبرر ما أشار إليه نقاد ندوة اليوم السابع "اللغة العالية" في النص.

لازلتُ أعتقد أنني فقيرة إلى اللغة العربية وبحاجة إلى تعلم المزيد.